وعي أهالي قابس بظاهرة التلوّث الصّناعي، وتمثّلاتهم للوضع البيئي بالجهة.

د. كمال بن عبدالسلام خليفي

المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين، جامعة قابس– الجمهورية التونسية

ملخّص: اشتغلنا في هذا المقال، على التمثّلات الاجتماعيّة لظاهرة التلوّث الصّناعي بجهة قابس من الجمهورية التونسية، وكيفيّة تقبّلها من المتساكنين المحلّيين ومدى وعيهم بالمسألة البيئيّة. كما تعرّضنا إلى الصّراع الدّائر مُنذ سبعينات القرن الماضي بين المواطن القابسي الّذي يريد أن يحيا في بيئة سليمة ومناخ صحّي ملائم، وبين أصحاب المصلحة والمستثمرين في المجال الصّناعي. وقد توصّلنا إلى النتائج التّالية وهي: وجود عدد كبير من المواطنين بمناطق بوشمّة وشطّ السّلام وغنّوش، وخاصّة النّاشطين في مجال البيئة، لديهم مواقف عدائيّة ترقى إلى درجة الصّراع والدّخول في حركة احتجاجيّة ضدّ المجمع الكيميائي. كما أنّ نسبة البطالة والفقر ارتفعت، خاصّة مع عدم مساهمة المنطقة الصناعيّة في التنميّة، ولا في الحدّ من ظاهرة البطالة الّتي تفاقمت. وقد لاحظنا غياب أيّ دور للفاعل السياسي أو المؤسّساتي، في العمل على التّقليص من حدّة التلوّث.

الكلمات المفتاحية: الوعي البيئي، التمثّلات الاجتماعية، الصّراع الاجتماعي، الفاعل الصّناعي، الفاعل المحلّي.

The awareness of the people of Gabes about the phenomenon of industrial pollution, and their representations of the environmental situation in the region.

D. Kamel B. Abdesslem khlifi

Higher Institute for Human Sciences of Medenine, Department of Sociology, University of Gabes, Republic of Tunisia

Abstract: In this report, we have worked on the social assimilations of industrial pollution phenomenon in the region of Gabes in the Republic of Tunisia, and how Gabesian inhabitants have understood it in addition to their high level of awareness about the environmental issue. Also, we dealt with the struggle since the seventies of last century between the Gabesian countryman who wants to enjoy living in a safe environment and a favourable healthy atmosphere from the first side and those who have their interests and invests in industrial field. Then we concluded the results; A big number of count ymen in Bouchemma, Chat Essalem and Ghannouch localities, specially the activists in the environmental field have opponent attitudes which reach the struggle level, which lead them to organize a protest movement against chemical factory. Besides the rates of jobless and poverty which increased. Especially with the lack of contribution of the industrial zone in development. And not to reduce the phenomenon of unemployment that has worsened. We noticed also, the lack of any role from politicians and institutions to diminish pollution level.

Keywords: environmental awareness, social representations, social conflict, industrial actor, local actor.

01- مقدمة

أصبح التلوّث في مدينة قابس، يُمثّل هاجسا مُتناميا يشغل بال الأهالي، بعد أن أثّر في الفلاحة والصّيد البحري والسّياحة والصحّة... وأصبح موضوع البيئة، من أهمّ الشواغل لأهالي المدينة. وما دفعني لدراسة ظاهرة التلوّث هو حرصي على إيجاد قراءة سوسيولوجيّة تقطع مع القراءات العامّية السّطحية الّتي تغيب فيها الموضوعية. ومن نّاحية أخرى، هو قُربي من حقل الدّراسة.

وفي هذا البحث راوحنا بين المنهجين الكمّي والكيفي. فالمنهج الكيفي، يوفّر تقنيات نوعيّة لقراءة المشهد وفهم التصوّرات وطبيعة التّفاعل بين مختلف عناصر الظّاهرة. وفي المنهج الكمّي اعتمدنا على عيّنة دالّة تُتيح لنا المقارنة بين شريحتين من المجتمع المحلّي. بين رافض لوجود المركب الصناعي وبين مُؤيّد له. وكذلك بين القاطنين قريبا من بؤر التلوّث ونعني بهم بوشمّة شاطئ السّلام وغنّوش، وهذه المجالات الثّلاثة عُرفت بتسميتها التّالية: "مناطق الطّوق". وبين القاطنين بعيدا عن مركز التلوّث، واعتمدنا مطماطة الجديدة نموذجا. وفي هذه الدراسة ركّزنا على وعي الأفراد ودرجة تكيّفهم وصراعهم مع الوضع البيئي بالجهة، وما حدث من تغيّرات على الصّعيد الاجتماعي من خلال الذّاكرة الجماعيّة. هذا الفرد الذي يحمل آلاما، لما أحدثه له التلوّث من أضرار مادّية ونفسيّة واجتماعيّة. وأحلاما يطمح الفرد إلى تحقيقها والمُتمثّلة في انتصاره في يوم ما على الوضع الحالي الّذي يعيشه أهالي قابس من خلال الحدّ من ظاهرة التلوّث.

02- إشكالية الدراسة

يرجع الاهتمام بالبيئة بدرجة أولى لعلم البيولوجيا، على يد الألماني هيقل. كما أنّ علم الاجتماع تواجد على الخطّ منذ البداية، وكان بصورة ضمنيّة خاصّة في أعمال ابن خلدون ومونتسكيو ومع تعاظم الأزمة البيئيّة والّتي أصبحت في علاقة مباشرة بالإنسان، بدأ يتجلّى تبلور فكر سوسيولوجي يبحث في أسباب التّدمير البيئي. عندها بدأ الوعي البيئي في الانتشار والهدف من ذلك هو الإسهام في حماية البيئة وإنقاذها من التدهور. ويعتبر الوضع البيئي في البلاد التونسيّة لا يقلّ خطورة عن الوضع العالمي، حتّى وإن اختلفت طبيعة الأزمات البيئيّة وأسبابها. حيث أنّنا نعيش في بيئة شديدة التّدهور انعكست آثارها سلبا على التّنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة للبلاد. ولذلك ارتأينا الخوض في المسألة البيئية من خلال دراسة موسومة ب: "وعي أهالي قابس بظاهرة التلوّث الصّناعي، وتمثّلاتهم للوضع البيئي بالجهة". وقد شغلتنا بعض التّساؤلات الّتي سنسعى إلى الإجابة عنها في مُختلف مراحل البحث، ونعطي فكرة أوليّة على أنّنا نعالج ظاهرة سوسيو-اقتصاديّة وسوسيو-نفسيّة، تحمل أبعادا بيئية، وليس حدثا اجتماعيا معزولا. لهذا سنُتيح لأنفسنا فرصة لتوضيح تأثير التلوّث على المجال وعلى الأفراد المحيطة به، والبحث عن طبيعة التّفاعل

بين مختلف شرائح المجتمع المحلّي الحاضن لهذه الظّاهرة. وتقييم ردّات الفعل المختلفة تجاه التلوّث، على غرار تقييم الفرد العامل داخل المنطقة الصّناعية أو الفرد المجاور لها والنّاشط في المجال الزّراعي، أو الصّيد البحري، أو المواطن العادي، فارتأينا طرح الأسئلة التالية والمتمثلة في:

ما هي تمثّلات الأفراد لظاهرة التلوّث في جهة قابس؟ وكيف يتفاعل أفراد المجتمع المحلّي مع الواقع الجديد الّذي أحدثه التلوّث؟ وهل المواطن القابسي، وبالأخصّ القريب من مركز التلوّث واعٍ بدرجة المخاطر البيئيّة المحدقة به؟ وكيف تبدو مسألة الوعي بمخاطر التلوّث البيئي لدى المُجاورين والبعيدين عن المنطقة الصناعيّة؟

03- فرضيّات الدّراسة

-كلّما زاد قرب مقرّ سكنى المواطن من المجمع الكيميائي، ارتفعت درجة سلبية موقفه من التلوّث.

- تحوّلت المنطقة الصناعيّة بقابس في الذّاكرة الجماعيّة للمجتمع المعني بالتلوّث البيئي، من مشروع للتقدّم الاقتصادي والرقيّ الاجتماعي، إلى عنصر تدمير ايكولوجي وصحّي وتنموي.

*- تلعب المتغيّرات الاقتصاديّة، والسوسيو ديمغرافية (السن، الفئة العمرية، مقر الإقامة، الدّخل الشهري...)، دورا هامّا في توجيه المواقف والسلوكيّات ازاء التلوّث ومصادره.

04- أهداف الدّراسة

- فهم السّلوك الاجتماعي والتّفاعل اليومي بين فاعلين لا يجمع بينهم إلاّ التلوّث.

- تقديم تشخيص وتحليل علمي وسوسيولوجي، من خلال إدخال الظّاهرة إلى مخبر علم الاجتماع.

- إنّ ظاهرة التلوّث المُرتبطة بالمنطقة الصّناعية بقابس، تعتبر مركّبة، وأطرافها مُتداخلة والفاعلون فيها يراهنون على خيارات متعدّدة، تتداخل فيها مصالحهم وغاياتهم في نفس الفضاء.

- البحث عن إستراتيجية الفاعل، أي من له مصلحة بوجود المنطقة الصناعيّة وأنشطتها بالجهة. ومن يعارض تواجد المجمع الكيميائي واستمراريّة نشاطه.

05- دوافع الدّراسة

1.5.دوافع ذاتية

ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، هو في المقام الأوّل انتمائي إلى ولاية قابس. وبالتّالي فإنّ النّتائج المتحصّل عليها أثناء إنهاء هذه الدّراسة، سوف تفيدني لمزيد الاطّلاع على المستجدّات البيئية الّتي حدثت في المنطقة. كما أنّ خوض غمار التّجربة "القيام بالدّراسة الميدانيّة"، سوف يثري لديّ الزّاد المعرفي، ويُمكّنني من مزيد الإطّلاع على أغلب جوانب ظاهرة التلوّث البيئي الذي يساهم فيه المركّب الكيميائي في ولاية قابس، وانعكاساته المباشرة وغير المباشرة على الفاعلين المحلّيين.

2.5.دوافع موضوعية

لئن كان موضوع التلوّث البيئي الّذي منشأه الرّئيسي المنطقة الصّناعية بقابس كظاهرة قديمة تجاوزت الأربعين سنة، وكان الحديث عنها من المُحرّمات ومن المسكوت عنه، فإنّها صارت في هذه الأيّام تأخذ اتّجاها جديدا، خاصّة مع منح المواطن حيّزا من حريّة التّعبير، وإعادة فتح ملفّات التلوّث البيئي من جديد وقد كان ذلك حافزا للقيام بهذه الدّراسة.

06- الجهاز المفاهيمي

1.6.الوعي البيئي

الوعي البيئي، هو عمليّة إعداد الإنسان للتّفاعل الناجح مع بيئته الطّبيعيّة بما تشمله من موارد مُختلفة. وتتطلّب هذه العمليّة العمل على تنمية جوانب معيّنة لدى الإنسان، منها توضيح المفاهيم وتعميق المبادئ اللاّزمة لفهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وثقافته من جهة، وبينه وبين المحيط البيوفيزيقي من حوله من جهة أخرى. كما تتطلّب أيضا تنمية المهارات التي تُمكّن الإنسان من المساهمة في حلّ ما قد تتعرّض له بيئته من مُشكلات، وما قد يُهدّدها من أخطار. والمساهمة في تطوير ظروف هذه البيئة وكذلك تكوين الاتّجاهات والقيم الّتي تحكم سلوك الإنسان إزاء بيئته، وأثار ميوله واهتماماته نحوها واكسابه أوجه التّقدير لأهميّة العمل على صيانتها والمحافظة عليها" (بن يحي سهام، 2005).

والواعي بيئيّا، هو الشّخص الّذي لديه وعي بطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة الّتي يعيش فيها وتفاعلهما معا. ومدى فهم هذا الإنسان لاستخدامات البيئة في تحسين أساليب الحياة. هذا بالإضافة إلى فهم المشكلات النّاتجة عن تعامله مع البيئة. (دخيل محمد عبدالرحمان فهد، 2000). إنّ الوعي البيئي هو مسؤولية مؤسّسات المجتمع المدني، والقطاعات الحكوميّة والخاصّة. فمن واجب الفرد أن يكون واعيا بيئيا، قبل اتخاذ أيّ قرار يتعلّق بمشاكل البيئة ومخاطرها. والوعي البيئي، يتكوّن من ثلاث حلقات منفصلة ومتداخلة في الوقت نفسه وهي التّربية والتّعليم البيئي والثّقافة البيئية، والإعلام البيئي (طائي إياد عاشور، 2010)

2.6.التمثّلات الاجتماعيّة

1.2.6.لغة

"تمثّل أو تصوّر الشّيء: توهّم صورته وتخيّله واستحضره في ذهنه. وتصوّر له الشيء: صار عنده تمثّل مُشخّص أو صورة وشكل." (المنجد في اللّغة والاعلام، 1975) والتمثّل، هو عمليّة تتضمّن استحضار صورة موضوع غائب إلى الذّهن، أو تشبيه الشّيء بآخر أو تقليد الشّيء. أمّا في قاموس le petit robert، فالتمثّل représentation هو "عمليّة استحضار شيء ما أمام الأعين أو العقل، وهو جعل موضوع غائب (أو مفهوم ما)، محسوسا بفضل صورة، شكل، رمز دلالة ما الخ..."(Robert Paul, 1991) .

2.2.6.اصطلاحا

أخذ هذا المفهوم عدّة تسميات في المؤلّفات الأجنبيّة، وأهمّها "la représentation" و«la conception». كما أنّ التمثّل في بعض المعاجم، يكون إمّا ترجمة لهذين المصطلحين أو يُعبّر عن مفهوم تكوين الصّور الذهنيّة. أمّا التمثّلات في العلوم الاجتماعيّة، فيعتبر إميل دوركايم Durkheim أوّل من استخدم مفهوم التمثّل الاجتماعي سنة 1898 في كتابه "التمثّلات الفرديّة والتمثّلات الجماعيّة"(Durkeim Emile, 1998) حين تحدّث عن العصبيّة القبليّة ورفضه لها. وقد اعتبر دوركايم بأنّ الدّين والمعتقدات واللّغة والعلم والأسطورة، هي تمثّلات جمعيّة واجتماعية. أمّا بالنّسبة لعالم الاجتماع Moscovici فإنّه يعتبر أنّ التمثّلات الاجتماعيّة

هي نظام مرن وشموليّ، تُبنى في إطاره المواقف الاجتماعيّة. إلّا أنّ الفضل يرجع إلي سارج موسكوفتشي Moscovoci.S والمتمثّل في تحرير هذا المصطلح من مفهوم حبيس علم الاجتماع، إلى مجال تطبيقي قائم بحدّ ذاته على علم النّفس الاجتماعي، في كتابه "التّحليل النّفسي صورته وجمهوره" مُعّرفا التمثّلات على أنّها "إعادة اظهار الشّيء للوعي مرّة ثانية رغم غيابه في هذا المجال المادّي". (Moscovici Serge, 1976) والتمثّل الاجتماعي، هو تمثّل لموضوع معيّن Objet مثل تمثّلاتنا حول موضوع التّحليل النّفسي للمرض العقلي الذّكاء، الطّفولة العمل، المدرسة، الهاتف الجوّال، الصّداقة...إلخ. وهذه المواضيع يتفاعل معها الأفراد والجماعات بشكل مُستمرّ. بمعنى آخر أنّه لا يُوجد تمثّل بدون موضوع.

3.6.الصّراع الاجتماعي

يُعرّف الصّراع في قاموس علم الاجتماع العربي بأنّه:" نزاع مُباشر ومقصود بين أفراد وجماعات من أجل هدف واحد. وتعتبر هزيمة الخصم شرطا ضروريا للوصول إلى الهدف. وفي عمليّة الصّراع، يظهر الأشخاص بشكل واضح أكثر من ظهور الهدف المباشر. ونظرا لتطوّر المشاعر العدوانية القويّة، فإنّ تحقيق الهدف في بعض الأوقات قد يُعتبر شيئا ثانويّا بجانب هزيمة الطّرف الآخر. (غيث محمد عاطف، 2006) ويُقصد بالصّراع كذلك، بأنّه أحد أنماط التّفاعل الاجتماعي الّذي ينشأ عن تعارض المصالح وهو الموقف التّنافسي، حيث يعرف كلّ من المُتنافسين غريمه. ويُدرك أنّه لا سبيل إلى التّوفيق بين مصلحته وبين مصلحة الغريم، فتنقلب المُنافسة بينهما إلى صراع، ويعمل كلّ منهما على تحطيم الآخر والتفوّق عليه. (بدوي أحمد زكي، 1977) كما يُعرّف الصراع أيضا، بأنّه:" أقسى عمليّة من العمليّات الاجتماعيّة، إذ هو عبارة عن تضارب القوى الاجتماعيّة ونضالها" (سعفان حسن شحاتة، 1975). والتّراث السّوسيولوجي، غنيّ بموضوعات الصّراع وخاصّة الّتي تحمل تحليلات الماركسيّة، والماركسيّة المُحدثة. كما تناول ابن خلدون مفهوم الصّراع، من خلال حديثه عن العصبيّات. وفضلاً عن ذلك، يقوم الصّراع بأدوار معنويّة، فهو صمّام أمان للفرد وللجماعة، من شأنه إفراغ الشحنات والتوتّر ومشاعر الإحباط وطاقات العدوان في الأنماط السلوكيّة المقبولة اجتماعيا (رشوان حسين

عبدالحميد أحمد، 2008). وقد صنّف لتشارد ولتون Welton في دراساته للتّنظيمات الصناعيّة الصّراعات إلى نوعين: صراعات ظاهرة، وصراعات كامنة. وتتميّز الصّراعات الظّاهرة بأنّ لها خاصيّة عقلانيّة ومنظّمة، ومن مظاهرها الإضراب والتّخريب. وتكون في صورة تنظيميّة كالاتّحادات العمّالية والنّقابات. بينما الصّراعات الكامنة فلها خاصيّة شخصيّة وغير منظّمة، ومن الأساليب المعبّرة عنها: الرّفض، عدم الرّضا، الشّكوى سوء الظنّ، الكره والحقد. (Loflamme Marcel, 1979) كذلك نجد الصّراع العصبي على المُلك أي "السُّلطة". وفي واقع الأمر، لقد لفت ابن خلدون الانتباه الى وجود ديناميكيّة اجتماعيّة مُحدّدة ينبغي على العالم والباحث الاجتماعي اكتشافها. حيث يقول ابن خلدون في هذا الصّدد: "ثمّ أنّ القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات متفرّقة وعصبيّات مُتعدّدة، فلا بدّ من عصبيّة تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها. وتلتحم جميع العصبيّات فيها وتصير وكأنّها عصبيّة واحدة كبرى. وإلاّ وقع الافتراق المُفضي إلى الاختلاف والتّنازع، ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض، لفسدت الأرض. ثمّ إذا حصل التغلّب بتلك العصبيّة على قومها، طلبت بطبعها التغلّب على أهل عصبيّة أخرى بعيدة عنها (ابن خلدون عبد الرحمان، 2000).

07- منهج الدراسة

نظرا لطبيعة الدراسة التي تعالج مسألة تمثلات أهالي قابس للوضع البيئي بالجهة المذكورة نتيجة للتلوث الصناعي، فإنّنا ارتأينا اعتماد الطرق البحثية والمعرفية التي تساعدنا على فهم ظاهرة التلوث، وعلى معالجتها علميا، ولذلك راوحنا بين المنهج الكيفي والمنهج الكمي بالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة، وعلى تقنية المقابلة نصف الموجهة، مع التركيز على استمارة الاستبيان نظرا للتنوع بين الفاعلين. وقد استعملنا المقاربة الوصفية، لأنّها تُعتبر أسلوب أو طريقه لدراسة الظّواهر الاجتماعية بشكل علمي منظّم، من أجل الوصول إلى أغراض محدّدة لوضعية اجتماعية معيّنة، أو مشكلة، أو سكّان معيّنين.

1.7.أدوات البحث

1.1.7.الاستبيان

قمنا بتقديم استبيان وقد احتوى على جملة من الأسئلة موزعة على 560 مستجوبا موزعين بالتساوي بين الذكور والإناث. ويهدف هذا الاستبيان إلى التعرف على مدى وعي أهالي ولاية قابس بظاهرة التلوّث الصّناعي بالجهة، مع إيجاد الحلول المناسبة للحدّ من المخاطر المحدقة بالسكّان المحلّيين .

2.1.7.المقابلة

وهي حوار يجريه الباحث مع أهل الاختصاص في الموضوع الذي يبحث فيه. وقد شملت المقابلة جملة من المستجوبين بلغ عددهم 30 مستجوبا من مختلف شرائح المجتمع المحلّي طرحنا عليهم تسعة أسئلة موجّهة للتعرّف على آرائهم حول الوضع البيئي بالجهة، بغية التأكّد من صحّة الاجابات التي جمّعناها في استمارة الاستبيان، ولنحتكّ مباشرة بمجتمع البحث للتعرف خصوصيات الجهة وتمثّلاتهم لبيئتهم.

2.7.عينة البحث وطريقة سحبها

لقد قمت باختيار العيّنة الطبقيّة، نظرا لاتّساع رقعة مجتمع البحث. حيث اعتمدت في الدّراسة على أربعة مجالات جغرافية، وهي: شطّ السّلام، بوشمّة، وغنّوش. أمّا المجال الجغرافي الرّابع فهو، معتمدية مطماطة الجديدة والتي تبعد عن المنطقة الصّناعية بحوالي ثلاثين كيلومترا (30 كم)، وبعيدة عن بؤرة التلوّث. وقد اخترناها لإجراء مقارنة بينها وبين مناطق الطّوق، لنقيس درجة الوعي البيئي لدى المبحوثين القريبين والبعيدين عن المنطقة الصناعيّة. والجدول التّالي يبيّن عدد أفراد العيّنة المبحوثة حسب متغيّر مقرّ الإقامة، ومتغيّر الفئة العمريّة. علما وأنّ عدد الذّكور والإناث متساويا في كلّ منطقة من مناطق البحث، وفي كلّ شريحة عمريّة.

جدول عدد 01: عدد أفراد العيّنة حسب متغيّر العمر، ومقرّ الإقامة.

مقرّ الإقامة / الفئة العمريّة	بوشمّة	شطّ السّلام	غنّوش	مطماطة الجديدة	المجموع
من 15-19 سنة	30	30	30	30	120
من 20-34 سنة	40	40	40	40	160
من 35-59 سنة	50	50	50	50	200
60 سنة فما فوق	20	20	20	20	80
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: البحث الميداني

08- نتائج الدراسة

1.8.المبحث الأوّل: تقييم المواطن لخطورة الوضع البيئي على الجانب الايكولوجي.

1.1.8.تقييم أثر التلوّث على الثّروة الزراعيّة

إنّ الأضرار التي لحقت بالمنتوج الفلاحي من جرّاء التلوّث الصناعي، ظاهرة للعيان، من خلال الغازات المنبعثة من مداخن المعامل والتي تساهم بشكل كبير في اتلاف المحاصيل الزراعية واندثار العديد من الأشجار المثمرة، على غرار العنب والمشمش والإجّاص، والتي كانت موجودة وبكميات كبيرة في واحات قابس قبل بعث المنطقة الصناعية بالجهة. إنّ هذا التغيير الذي طرأ على القطاع الفلاحي، تحدّث عنه أغلب المستجوبين من الفلاّحين، سواء من خلال استمارة الاستبيان، أو عبر مقابلات مباشرة مع مجموعة من المزارعين القاطنين بالفضاءات المحاذية للمنطقة الصناعيّة: (شطّ السّلام، بوشمّة وغنّوش). وكان تركيزنا على الجانب الفلاحي، نظرا لتواجد سكّان الطوق داخل واحة. مع امتلاك أغلبهم لمستغلاّت فلاحيّة، كانت بمثابة مورد رزق لدى بعض السكّان المحلّيين قبل تغيير منوال التّنمية منذ بداية سبعينات القرن الماضي. أمّا لدى البعض الآخر، فهي تعتبر فلاحة معاشيّة واحيّة تفي باحتياجات أصحابها والمتمثّلة في الخضروات وبعض الأشجار المثمرة من تمور وزياتين ورمّان.

2.1.8.ملكيّة الأراضي الفلاحيّة وطبيعة المنتجات الزراعيّة لدى أفراد العيّنة.

جدول عدد 02: امتلاك المتساكنين لأراض فلاحيّة وطريقة استغلالها.

كيف تستغلّ أرضك الفلاحيّة	العدد	النّسبة
لا أملك أرضا فلاحيّة	169	%30,2
أستغلّها بمفردي	375	%67
أُسوّغها	9	% 1.5
حالة أخرى	7	%1.3
مجموع من يمتلكون أرضا	391	%69.8
المجموع العام	560	%100

المصدر: العمل الميداني

نلاحظ أنّ نسبة الذين يستغلّون أراضيهم الفلاحيّة بمفردهم، بلغت 95.91%. يعنى أنّ 375 مستجوبا من جملة 391 يقومون بفلح أراضيهم دون تسويغها أو التفويت فيها للغير. وهذا دليل على مدى تشبّث أهالي الجهة بأراضيهم، وحرصهم على استغلال ما هو مخصّص منها للزراعة. حتى أنّ أهالي شطّ السّلام لمّا طُلب منهم مغادرة مقرّ إقامتهم، وتعويضهم بمناطق أخرى بعيدة عن التلوّث، رفض الأهالي الخروج من مسقط رأسهم، وتصدّى المجتمع المدني آنذاك للاقتراح معتبرين إيّاه بالتّهجير القسري على حساب امتداد المنطقة الصناعيّة. وهنا تتقارب آراء الفاعل السياسي مع الفاعل الصناعي، ومدى تمسّكهم ببقاء المجمع الكيميائي وتضحيتهم بالمتساكنين المتاخمين له. حيث تغلّب الجانب المادّي وجشع المستثمرين ورجل السياسة، على حساب الجانب الاجتماعي. لذلك يتأكّد لدينا بأنّ الفلاح القابسي، مازال متشبّثا بأرضه. ولقد اعتبر بورديو: "أنّ النّموذج التّقليدي للفلاّحين يحمل ما يسمّيه "سمات السّذاجة" والتي يُعبّر عنها في الواقع حسب دراسته ب:" النيّة" Niya. أي كلّ ما هو نقيّ وتلقائي سواء في التّفكير أو في السّلوك. فيصف الفلاّح، بأنّه إنسان طموح وبسيط، يحترم التقاليد ويسعى لتوفير منتوجات من أجل كفاف عائلته ..."(Bourdieu Pierre, 1964)

جدول عدد 03: امتلاك المتساكنين لأراض فلاحيّة في علاقة بمتغيّر مكان الإقامة.

مكان الإقامة		لا أملك أرضا فلاحيّة	نعم أمتلك أرضا فلاحيّة			المجموع
			أستغلّها بمفردي	أسوّغها	حالة أخرى	
	شطّ السّلام	68	64	6	2	140
	بوشمّة	18	122	0	0	140
	غنّوش	33	102	0	5	140
	مطماطة الجديدة	50	87	3	0	140
المجموع		169	375	9	7	560

المصدر: العمل الميداني

بالرجوع إلى الجدول عدد 03 والذي تعرضنا فيه إلى مقرّ إقامة المستجوبين وطريقة استغلالهم لأراضيهم الفلاحية وجدنا أن 100% من متساكني بوشمّة المالكين لقطع أرض فلاحية يستغلّونها بمفردهم. وهذا تصديقا لما ذُكر سابقا، حول تمثّلات المواطن في جهة بوشمّة للمستغلّات الفلاحيّة، والتي تعتبر جزء منه. فمن خلال احصائيات مجمع التّنمية الفلاحيّة ببوشمّة، توجد 858 مستغلّة داخل الواحة بالمكان المذكور. علاوة على الأراضي الزراعية بالمنطقة المُسمّاة ب: "الدّيسة"[1].

[1]– الدّيسة، هي أراض فلاحية كانت على ملك الدّولة، ثمّ وقع توزيعها على 24 شابا من شباب منطقة بوشمّة، بمعدّل 8 هكتارات لكلّ منهم. وذلك في إطار التّنمية المندمجة. ويقع سقي الأراضي بالمياه المعالجة. والانتاج يتمثّل في الزّراعات العلفيّة والأشجار المثمرة، ويُمنع زراعة الخضروات نظرا لتلوّث المياه.

جدول عدد 04: حول مقرّ الإقامة وأهمّ المنتجات الزراعيّة.

مقرّ الإقامة	المنتجات الفلاحيّة							المجموع
	لايملك أرضا فلاحيّة	أشجار مثمرة	زراعات علفيّة	خضروات	زراعات صناعيّة	أشياء أخرى	زراعات ذات 3 طوابق	
شطّ السّلام	68	7	8	39	7	2	9	140
بوشمّة	18	49	19	32	6	0	16	140
غنّوش	33	15	16	29	0	2	45	140
مطماطة ج	50	42	4	33	0	3	8	140
المجموع	169	113	47	133	13	7	78	560

المصدر: العمل الميداني

يبيّن الجدول أعلاه، أهمّ المنتجات الفلاحيّة بحسب مكان الإقامة، وقد طلبنا من المستجوبين ذكر أهمّ المنتجات الزراعية الموجودة داخل أراضيهم الفلاحيّة، بالنّسبة لمالكي مساحات أرض صالحة للزراعة داخل المناطق السّقوية، مع التّشديد على ذكر منتوج فلاحي وحيد، حتّى نستطيع تنزيل المعطيات في جداول معتمدين برمجية SPSS، فلاحظنا أنّ زراعة الخضروات استأثرت بالنصيب الأوفر، وبنسبة 34%، أي 133 مستجوبا من جملة 391 ممّن يمتلكون أراض فلاحيّة. ومن المعروف أنّ هشاشة قطاع الخضروات وعدم صموده أمام درجة التلوّث بمناطق الطّوق، خاصّة وأنّ واحات شطّ السّلام بوشمّة وغنّوش، متاخمة للمنطقة الصناعيّة. وهي عرضة للغازات المنبعثة من مداخن المصانع، والتي تُطلق غازاتها السامّة. حيث تكون نسبة الغازات في بعض الأحيان كبيرة ومبالغ فيها، ممّا يُحدث أضرارا بجميع المنتجات الفلاحية من خضروات وأشجار مثمرة... لقد أصبح المواطن القابسي يصارع من أجل البقاء في أرض ورثها عن أجداده يريد الفاعل الرأسمالي، مع النافذين من سياسيين وحقوقيين، من افتكاك هذه الأرض، واخراجه منها، وتحويلها إلى قطب صناعي ينتفع من خيراته من هم خارج دائرة الصراع... و" قد يكون الصّراع والتفكّك وعدم التّوازن والتفاضل هي نفسها أمراض البيروقراطية الصّناعية المعاصرة. والصّراع ظاهرة مضادّة للتّنظيم الصّناعي الرّاهن. وقد يكون الصّراع الصّناعي حميدا أو غير

حميد. والصّراع الحميد هو "الصّراع التّنظيمي" أو الصّراع من أجل التّكامل. وكذلك، من أجل تطوّر التّنظيم نحو زيادة التّماسك، بإزالة الخلخلة التّنظيمية، وسدّ الثّغرات الّتي كانت قائمة في التّنظيمات القديمة. (قباري محمد إسماعيل، 1980). لكن الصراع اليوم في مناطق الطّوق، ليس صراعا من أجل التكامل، بل من أجل إقصاء الآخر وتهميشه. ومن ثمّة فإنّ المنطقة الصناعيّة بقابس، تحوّلت في الذّاكرة الجماعية للمجتمع المعني بالتلوّث البيئي، من مشروع للتقدّم الاقتصادي والرقيّ الاجتماعي، إلى عنصر تدمير لايكولوجية المنطقة، مسيء لرمزيتها التّاريخية ومعيقا لنموّ بعض القطاعات الاقتصادية. وهذا ما وقع ملاحظته على الميدان، من خلال إجابات جمهور البحث على استمارة الاستبيان أومن خلال المقابلات أو حتّى من خلال ما شاهدناه بالعين المجرّدة، وهو عدم مساهمة المنطقة الصناعيّة في تنمية الجهة من حيث بعث مشاريع صديقة للبيئة، أو من خلال المساهمة في تشغيل العاطلين عن العمل

3.1.8. تقييم أثر التلوّث على جودة المنتوج.

جدول عدد 05: جودة المنتوج في علاقة بمكان الإقامة.

هل المنتوج جيّد؟	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة ج	المجموع
لا يملك أرضا فلاحية	68	18	33	50	169
لا	72	122	107	53	354
نعم	0	0	0	37	37
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

يبيّن الجدول عدد 05، بأنّ 354 مستجوبا من جمهور العينّة المبحوثة، يثبت بأنّ المنتوج الفلاحى في جهة قابس متردّيا ولا يفي بالحاجة. وذلك نتيجة للتلوّث الهوائي من خلال الغازات المنبعثة من المداخن. مع نضوب المائدة المائيّة من جرّاء الاستغلال المفرط للمياه المخصّصة للمصانع والمعامل والمتواجدة بالمنطقة الصناعيّة. فالمنتوج الفلاحي، لا يفي بالحاجة ويفتقر للجودة. وهذا ما أقرّه المستجوبون، وبنسبة تقدّر ب: 90.54%. وإذا ما استثنينا المبحوثين التّابعين لمعتمدية مطماطة الجديدة، فإنّ نسبة من يُقرّون بتردّي المنتوج الفلاحي بلغت 100%.

في حين يرى 37 مستجوبا من جملة 87 ممّن يمتلكون أراض فلاحية بمعتمدية مطماطة الجديدة، بأنّ المنتوج جيّد. وهنا نلاحظ جليّا مدى تأثير التلوّث البيئي على الجانب الايكولوجي لمتساكني الطّوق. لقد أقرّ جلّ المستجوبين بتردّي جودة المنتوج، وهذا دليل على وعيهم البيئي. حيث لا يمكن الحصول على منتوج جيّد وصالح للإستهلاك ودون مخاطر، في ظلّ تلوّث بيئي يؤثّر تأثيرا مباشرا على المنتجات الفلاحية.

جدول عدد 06: مكان الإقامة وأسباب نقص المنتوج الفلاحي.

مقرّ الإقامة		أسباب نقص المنتوج				المجموع
		لا أملك أرضا	قلّة الأمطار	قلّة المياه	القرب من المصانع	
شطّ السّلام		68	10	4	58	140
بوشمّة		18	5	9	108	140
غنّوش		33	16	8	83	140
مطماطة ج		50	67	20	3	140
المجموع		169	98	41	252	560

المصدر: العمل الميداني

"يعتبر تركيز القطب الصّناعي بقابس، عاملا حاسما في تدنّي مستويات الإنتاج الفلاحي، وتراجع جودته وذلك بسبب تأثّره بالغازات الكيميائية التي تنبعث من مداخن المصانع. إذ شملت تلك التأثيرات السلبية خصائص التّربة والهواء، ممّا انعكس على المشهد العامّ للنّخيل وبقية الأشجار".... (كريمي علي، 2004). لذلك فإنّ موقع القرب من المنطقة الصناعيّة والتلوّث البيئي الذي تشهده واحات مناطق الطّوق هو السبب الرّئيسي في نقص المنتوج الفلاحي. حيث يُقرّ 252 مستجوبا من جملة 391 ممن يمتلكون أراض فلاحية، أي ما نسبته 64.45%، بأنّ المنطقة الصناعية الملوّثة للبيئة، ساهمت بدرجة كبيرة في انقراض العديد من الأشجار المثمرة وبعض النباتات الحوليّة، التي كانت موجودة قبل انتصاب المركّب الكيميائي بالجهة. وهذا ما صرّح به مجموعة كبيرة من فلاّحي مناطق الطّوق، من خلال المقابلات المباشرة. حيث حدّثنا

بعضهم عن تاريخ الواحة، وما كانت تدرّه من خيرات ورزق على أهالي المنطقة. وبعد إحداث المنطقة الصناعية تراجع المنتوج بصفة ملحوظة، وأصبح لا يفي بالاستهلاك العائلي، بعدما كان المورد الأساسي لمتساكني الجهة. فملوّثات المصانع، والغازات المنبعثة من المداخن أتلفت الثّروة النّباتية، وقضت على عدد هامّ من الأشجار المثمرة، وعطّلت الدّورة الاقتصادية بالجهة. فارتفعت نسبة البطالة والفقر مع عدم مساهمة المنطقة الصناعيّة في التّنمية، ولا في الحدّ من ظاهرة البطالة التي تفاقمت في ظلّ منوال التّنمية الجديد المعتمد على الصّناعة. حيث لا مجال لتنمية مستدامة في ظلّ منطقة ملوّثة محكوم عليها بانتشار الأوبئة والأمراض المستعصية...

4.1.8.تقييم أثر انبعاثات الغازات السامّة على الغراسات

ترفض الفئة المنتمية للقطاع الفلاحي، لفعل التّصنيع المتسبّب في تدهور المحيط، على اعتبار أنّ ما يفرزه المركّب من نفايات كالفوسفوجيبس، وغازات كغاز الأمونياك والفليور، تمثّل عوامل رئيسية في التّدمير البيئي للثّروة الزّراعيّة. ولقد لمسنا آثار هذا التّدمير في ملاحظاتنا الميدانية للبحر والواحة.

جدول عدد: 07 مقرّ الإقامة والأضرار الفلاحيّة للناشطين في القطاع.

مقرّ الإقامة		هل توجد أضرار فلاحيّة؟		المجموع
	لا يملك أرضا فلاحية	نعم	لا	
شطّ السّلام	68	72	0	140
بوشمّة	18	122	0	140
غنّوش	33	105	2	140
مطماطة ج	50	54	36	140
المجموع	169	353	38	560

المصدر: العمل الميداني

يعترف 353 مستجوبا من جملة 391 ممّن يمتلكون أراض صالحة للزراعة، بوجود أضرار واضحة للعيان، للمنتجات الفلاحيّة من جرّاء التلوّث الهوائي المنبعث من مداخن المصانع بجهة قابس. حيث قُدّرت نسبتهم ب: 90.28%، فقد دمّرت الغازات السامّة الخضر وأشجار النّخيل والزّيتون والرمّان والزّراعات العلفيّة. وهذا جرم بحقّ الإنسانية، تُحرّمه كلّ الشّرائع الأرضيّة

والسماويّة. حيث يقول الله تعالى: " وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ". (سورة البقرة الآية 205) وتتمركز أغلب واحات جهة قابس على الشّريط السّاحلي الممتدّ من العوينات إلى الزّارات. وأكبر تمركزات لها نجدها في: غنّوش، بوشمّة، وشطّ السّلام.

جدول عدد 08: أضرار القطاع الفلاحي وأسبابها.

الأضرار الفلاحيّة		أسباب الأضرار الفلاحية				المجموع
		عدم امتلاك أرض مع عدم وجود أضرار	آفات طبيعيّة	انبعاثات غازيّة	أشياء أخرى	
	لا يملك أرضا فلاحيّة	169	0	0	0	169
	توجد أضرار	0	67	269	17	353
	لا توجد أضرار	38	0	0	0	38
المجموع		207	67	269	17	560

المصدر: العمل الميداني

إنّ نسبة 90.28% من المستجوبين، يقرّون بوجود أضرار في المنتوج الفلاحي. وتعتبر هذه النّسبة مرتفعة جدّا، فأغلب فلّاحي الجهة تضّرروا من المنطقة الصناعيّة، والسكّان المحلّيون واعون بخطورة الوضع البيئي. وكما تبرزه نتائج البحث الميداني، فإنّ 353 مستجوبا من جملة 391 من أفراد العيّنة الذين يمتلكون أراض صالحة للزراعة، يرون أنّ الوضع البيئي، سبّب لهم أضرارا واضحة وجليّة للعيان. كما نجد أن نسبة ضئيلة من المستجوبين الذين يمتلكون أراض فلاحية أجابوا بالنّفي (9.72%)، منهم 36 من جملة 38 مستجوبا يقطنون بعيدا عن المنطقة الصناعية، وهم من متساكني معتمدية مطماطة الجديدة. كما نلاحظ أن قرابة نصف المستجوبين من منطقة شطّ السّلام، لا يمتلكون أراض فلاحيّة، حيث بلغ عددهم 68 من جملة 140 مستجوبا، أي بنسبة 48.57%. وهذا راجع إلى هجرة أهالي المنطقة المذكورة مُستغلاتهم والتي تُعدّ حسب العديد من التّقارير المحليّة، والوطنيّة، وحتّى العالميّة بأنّها منطقة منكوبة وغير صالحة للفلاحة، ولا حتّى للسكن. وذلك في ظّل عجز الفاعل السّياسي، في ايجاد الحلول المناسبة للخروج من هذا الوضع المهدّد لحياة آلاف المتساكنين، الّذين كان لزام عليهم البحث عن الحلول الجذرية لتغيير أوضاعهم. حيث "ازداد اهتمام الرّأي العامّ مُؤخّرا بالمشكلات البيئية.

ولقد أضحى واضحا أنّ الحكومات تقف عاجزة أمام مشكل التلوّث البيئي، لذا يجب أن تتوفّر الرّغبة والإرادة من قبل الأهالي ومن خلال الهيئات التطوّعية (الشّعبية)، في المشاركة في حماية البيئة وتنميتها. لذا، يمكن للمنظّمات الشعبيّة أن تلعب دورا كبيرا في مواجهة مشكلات التلوّث البيئي، في الرّيف والحضر، خاصّة إذا قُدّم لها كافّة التّسهيلات والإجراءات على المستوى الرّسمي والشّعبي، حتّى يتحقّق لها مقوّمات الاضطلاع بدورها بنجاح" (عامر محمد السيد، 2010). وهنا يتّضح لنا بأنّ الفاعل السياسي، لم يقم بواجبه في مسألة التلوث البيئي، ولم يُعِر اهتماما للموضوع. بل نجده في أغلب الأحيان، منحازا إلى الفاعل الصّناعي والمستثمرين. فلو توفّرت الإرادة السياسية، لوُجدت الحلول الكفيلة للحدّ من ظاهرة التلوّث الذي يعاني منه السكّان المحلّيون بجهة قابس. حيث يمكن القول ب: " أنّ إدراك سبب التلوّث يُحدّد طريقة المواطنين في فهمهم لمحيطهم وتعايشهم معه. فمتى اقتنع الفرد بأثر تدهور المحيط على صحّته، أمكن له أن يتّخذ تصّرفا آخر ونمط حياة متوائما مع البيئة". (عبدمولاه رضا، 2013)

5.1.8.تقييم أثر التلوّث على الثّروة المائيّة

جدول عدد 09: توفّر مياه الريّ بالأراضي الفلاحيّة في علاقة بمتغيّر مكان الإقامة.

هل مياه الريّ متوفّرة؟	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة ج	المجموع
لا يملك أرضا فلاحيّة	68	18	33	50	169
نعم	1	11	5	4	21
لا	71	111	102	86	370
% للنّاشطين بالقطاع	%98.61	%90.98	%95.33	%95.56	%94.63
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

من خلال الجدول عدد 09، نتبيّن أنّ مياه الريّ غير متوفّرة للنّاشطين بالقطاع الفلاحي. وهذا راجع لنقص وشُحّ المياه في البلاد التونسية عموما، وبجهة قابس بصفة خاصّة، نظرا لحفر الآبار العشوائية في أغلب المعامل والمصانع بالمنطقة الصناعية، وبتشريع من الفاعل السياسي الذي يغطّي على تجاوزات الفاعل الصّناعي. وبرجوعنا إلى جمهور الدّراسة، فإنّ 370 مستجوبا من جملة 391 ممّن يمتلكون أراض فلاحية، يُقرّون بعدم توفّر مياه الريّ، أي بنسبة تقدّر ب

94.63%. وتصل إلى 98.61% بمنطقة شطّ السّلام، المحاذية للمجمع الكيميائي. وهذه النّسبة المرتفعة تُمثّل خطرا على تراجع مردودية واحات قابس، من جرّاء النّقص الكبير في المياه.

جدول عدد 10: أسباب ندرة مياه الريّ للنّاشطين بالقطاع الفلاحي.

لماذا مياه الريّ شحيحة؟	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة ج	المجموع
لا يملك أرضا فلاحية	86	18	33	50	169
حفر آبار عشوائيّة	8	14	18	60	100
الاستهلاك في الصّناعة	47	90	65	0	202
نتيجة للجفاف	15	18	24	30	87
أشياء أخرى	2	0	0	0	2
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

يقرّ أغلبية المستجوبين، بأنّ سبب نُدرة وشُحّ المياه، راجع بالأساس إلى الاستهلاك المفرط والمجحف من قبل الفاعل الصناعي. ومن خلال استمارة الاستبيان، صرّح 202 من المستجوبين من جملة 391 ممّن يمتلكون قطع أرض فلاحيّة بأنّ المنطقة الصناعيّة، تمثّل سببا رئيسيا في قلّة مياه الريّ المستعملة في الفلاحة، وبنسبة 51.66%، أي أكثر من نصف أفراد العيّنة من أصحاب المستغلاّت الزّراعية. وهذا دليل على التباعد بين نشاط صناعي توطّن في المكان واستنزف ثرواته وبين نشاط فلاحي يشهد تراجعا. " فلئن أدّى التوطّن الصّناعي إلى إنتاج المجال، وبالتّالي إنتاج وظيفة جديدة له فإنّه لم يخلق نوعا من الترابط... وهو ما يعني انعدام العلاقة بينه وبين الأنشطة الفلاحية، التي تمثّل خصوصيّة منطقة قابس" (بن أحمد منال، 2007). وما نستنتجه في آخر المبحث الأوّل هو: أنّ ظاهرة التلوّث ثقيلة ومؤثّرة ومرهقة للعناصر البشريّة المعمّرة للمجال. وأفراد المجتمع المحلّي المعني بظاهرة التلوّث، وخاصّة متساكني مناطق الطّوق الذين اجتمعوا على فكرة واحدة وهي: "أنّ التلوّث البيئي خطر شامل

وشمولي بدليل أنّه يُدمّر الإنسان والحيوان على حدّ السّواء. باعتبارهما شريكين في الاستفادة من البيئة الطّبيعية وشريكين في إعمارها."(Morin Edgar, 1977)

2.8.المبحث الثاني: تقييم المواطن لخطورة الوضع البيئي على صحّة الإنسان

1.2.8.وعي المواطن المحلّي بحالته الصحّيّة في ظلّ التلوّث

جدول عدد 11: الحالة الصحّية للمستجوبين في علاقة بمقرّ الإقامة.

هل تشكو من أمراض	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة ج	المجموع
نعم	93	101	115	27	336
النّسبة%	%66.43	%72.14	%82.14	%19.29	%60
لا	47	39	25	113	224
النّسبة%	%33.57	%27.86	%17.86	%80.71	%40
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

يبيّن الجدول أعلاه، الأمراض التي تشتكي منها العيّنة المستجوبة، في علاقة بمقرّ إقامة المتساكنين وموقفهم من مدى خطورة المجمع الكيميائي. وقد قمنا بالبحث في مدى وجود ارتباط بين هذه المتغيّرات باعتماد الاختبار الاحصائي ك2. فإذا كان (مستوى الدلالة=5%): فإنّ قيمة "ك مربّع" الملاحظة (25.27)، أكبر من قيمتها النظريّة (7.82). وهكذا فإنّنا نرفض فرضية العدم (H0)، ونقبل بالفرضية البديلة (H1). أي أنّ الموقف من مدى الإصابة بأمراض قد تكون مُرتبطة بالتلوّث، يتأثّر بمتغيّر مقرّ الإقامة. وقد اعتُبر الحديث عن تأثير التلوّث على صحّة الإنسان، ملفّا مفتوحا لتضارب التّقييمات أحيانا وتعمّد اتّباع سياسة الصّمت والتّجاهل أحيانا أخرى، لما تثيره القضيّة من حساسيّات سياسيّة واجتماعية. ونظرا لكون الملفّ الصحّي في طور التّحقيق، وهذا ما يجعل أهل الاختصاص من الأطبّاء، متردّدين في قول الكلمة الفصل فإنّنا سنعتمد على جمع ما توفّر من معطيـات وشهادات السكّان، عن أمراض ذويهم من الأقارب، وكيف كان التّشخيص ونتيجته. وبرجوعنا إلى الجدول عدد 11، وإذا ما استثنينا معتمدية

مطماطة الجديدة، فإنّ 309 مستجوبا من جملة 360 من أفراد العيّنة المنتمين إلى منطقة الطّوق: شطّ السّلام بوشمّة وغنّوش، يشتكون من أمراض نتيجة لتدهور الوضع البيئي في الجهة، أي بنسبة تقدّر ب. 85.83%. فإلى جانب الأضرار على المستوى الإيكولوجي، فإنّ المواطن القابسي أصبح مهدّدا في صحّته، ويشكو مختلف الأمراض النّاتجة عن التلوّث، أهمّها المشاكل في الجهاز التّنفسي ومختلف أنواع الحساسيّات والسّرطانات. فـ: "في مدينتي، سرق التلوّث زرقة السّماء، مع تفشّي العديد من الأمراض مثل الرّبو الّذي يُعتبر مرض من أمراض التلوّث، لأنّ الهواء الّذي نتنفّسه غير نظيف" (Elsen Liliane, 1973). ومن هنا نستنتج، بأنّ المنطقة الصّناعية عموما والمجمع الكيميائي بالخصوص مُحبط للتّنمية بالجهة. فماذا ننتظر من مواطن أنهكته الأمراض، مع القضاء على ثروته الفلاحيّة والسّمكية وعدم تفكير أصحاب القرار في توفير العيش السّليم لمتساكني الجهة، من خلال احداث مواطن شغل ومشاريع تنمويّة تساهم في النّهوض بالجهة. إنّ الخسائر كبيرة، ولا تقارن بالعدد الضئيل للعاملين في المنطقة الصناعيّة الملوّثة. فأغلب جمهور العينّة، يعي جيّدا أنّ مسألة تدمير المركّب الصّناعي للمقومّات الطّبيعية وصحّة الإنسان كبيرة ولا تقدّر بثمن. أمّا 14.17% من أفراد العيّنة، لا يرون في النّشاط الصّناعي أي خطر (باستثناء المستجوبين في منطقة مطماطة الجديدة والبعيدين عن بؤر التلوّث) وقد نتفهّم هذه الإجابات لأنّ هنالك أفرادًا من العيّنة يشتغلون بالمنطقة الصّناعية. أمّا بقيّة المستجوبين في عيّنة البحث فيقرّون بخطورة الوضع البيئي، مع تشكّياتهم من عدّة أمراض.

2.2.8.طبيعة الأمراض التي يشكو منها المتساكنون

جدول عدد 12: سبب المرض ونوعه.

سبب المرض	نوع المرض							المجموع
	دون مرض	الحساسيّة	هشاشة العظام	ضيق التنفّس	الروماتيزم	السّرطان	أمراض أخرى	
لا يشتكي	285	0	0	0	0	0	0	285
التلوّث	0	66	52	79	6	9	12	224
أشياء أخرى	0	4	6	3	3	0	35	51
المجموع	285	70	58	82	9	9	47	560

المصدر: العمل الميداني

حسب أرقام الجدول عدد 12، فإنّ نسبة 40% من المستجوبين، مصابون بأمراض مرتبطة حسب اعتقادهم بالتلوّث البيئي النّاتج عن دخان المصانع، أي 224 من جملة 560 مستجوبا. وقد توزّعت الأمراض كالتّالي: 79 مريضا يعاني من ضيق التنفّس، و66 منهم يعانون من أمراض الحساسيّة، و52 من هشاشة العظام، و9 بالروماتيزم و9 حالات تعاني من الأمراض السرطانية المرتبطة بالتلوّث الهوائي أي بنسبة 4.02% من جملة المرضى في عيّنة البحث. وتُعتبر هذه النّسبة مرتفعة باعتبار خطورة هذا المرض القاتل، والّذي أصبح في تزايد مستمرّ بجهة قابس، وخاصّة في كلّ من منطقتي شطّ السّلام وغنّوش. حيث "توجد أمراض صناعيّة، وتشوّهات مهنيّة، تنتج عن الايكولوجيا الدّاخلية للمصنع. وهي أمراض ناجمة عن قلّة أو شدّة الضّوء، ممّا يؤدّي إلى اضطراب أعصاب العين، أو حتى فقدان البصر. وقد تنشأ الأمراض السمعيّة عن شدّة الضّجيج وحركة الآلات..." (قباري محمد إسماعيل، 1980). ومن خلال مقابلاتنا مع عدد من المستجوبين القاطنين بمناطق الطوق، بيّنوا لنا مدى وعيهم بخطورة الوضع البيئي الذي يشهده المجال، وتأثيره الكبير على صحتهم.

3.2.8.تقييم المتساكنين لآثار التلوّث على صحّتهم

قال تعالى: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (القرآن الكريم، سورة المائدة الآية 34). لقد انطلقنا في هذا العنصر من آية كريمة، تحثّنا على الحفاظ على النّفس البشريّة وتنهانا عن الفساد في الأرض. فانتشار التلوّث في جهة قابس واستفحال الأمراض القاتلة دون البحث عن حلول من قبل الفاعلين الصناعيين والسياسيين، يُعتبر جريمة في حقّ المجتمع القابسي، وهو كذلك فساد في الأرض.

جدول عدد 13: تقييم الوضع الصحّي بالجهة في علاقة بمقرّ الإقامة.

الوضع الصحّي	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة الجديدة	المجموع
ممتاز	2	0	0	32	34
حسن	11	0	0	48	59
متوسّط	18	10	21	47	96
سيّئ	109	130	119	13	371
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

نلاحظ من خلال مؤشّرات الجدول عدد 13، وجود علاقة ارتباط وثيقة، بين الوضع الصحّي بجهة قابس ومكان إقامة المستجوبين. فكلّما اقتربنا من المنطقة الصناعيّة، كلّما عبّر الأفراد عن شعورهم بالخطر وفقدان الأمن البيئي. إذ أشار 109 مستجوبين من سكّان شطّ السلام، من مجموع 140 من جملة أفراد العيّنة، تردّي الوضع الصحّي بالجهة. ويرتفع عدد المستجوبين الّذين يرون أنّ الوضع الصحّي سيّئا في بوشمّة، حيث بلغ عددهم 130 أي بنسبة تقدّر ب92.86% وهي أعلى نسبة من جملة متساكني مناطق الطّوق، و119 مستجوبا في غنّوش. بينما ينخفض العدد بشكل لافت في منطقة مطماطة الجديدة، إذ بلغ عدد الّذين يرون أنّ الوضع الصحّي سيّئ 13 مستجوبا فقط وبنسبة مائوية تقدّر ب 9.28%. وهو ما يُمثّل عشر ما عبّر عنه مستجوبي أهالي بوشمّة من حيث تردّي الوضع البيئي. والتّفسير المنطقي لذلك هو أنّ سكّان

هذه الجهة لا يشتكون من التلوّث، نظرا للمسافة الّتي تفصلهم عن المنطقة الصناعيّة. إلى جانب أنّ منطقة مطماطة الجديدة تبعد حوالي 10 كيلومتر عن مطماطة القديمة والمعروفة بهوائها النقيّ والجافّ، أي غير المشبع بالرّطوبة. وفي هذا الإطار يقول الباحث الاجتماعي رضا عبدمولاه: " يُمثل التّصنيع أبرز مصدر لتدهور المحيط، وكابوس للجمهور. ويُمكن تمييزه بجلاء عن المعايير الأخرى المذكورة.... (عبدمولاه رضا، 2013)

جدول عدد 14: الفئات العُمريّة الأكثر تعرّضا للأمراض في علاقة بمقرّ الإقامة.

الفئات تتعرّض للأمراض	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة .ج	المجموع
أطفال	43	34	55	43	175
شباب	3	0	1	0	4
كهول	6	1	3	0	10
شيوخ	13	22	31	64	130
كلّ الفئات	75	83	50	33	241
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

يبيّن الجدول أعلاه، الفئات العمريّة الأكثر تعرّضا للأمراض، في علاقة بمقرّ الإقامة. وقد قمنا بالبحث في مدى وجود ارتباط بين هذه المتغيّرات، باعتماد الاختبار الاحصائي ك2. فإذا كان (مستوى الدّلالة=5%): فإنّ قيمة "ك مربّع" الملاحظة (91.45)، أكبر من قيمتها النّظريّة (21.03). وهكذا فإنّنا نرفض (فرضيّة العدم (H0) ونقبل بالفرضيّة البديلة (H1). فإنّ الأمراض النّاتجة عن التلوّث، تتأثّر وترتبط بمتغيّر مقرّ الإقامة. فنلاحظ أنّ الفئة الأكثر تعرّضا للأمراض هم الشّريحـة العمريّة الصّغـرى أي الأطفـال خاصّة. " وعند الأطفال يؤدّي استهلاك الرصاص من خلال استعمال ماء الشّرب من هذه الأنابيب، والخزّانات، وأوعية الأكل والشّرب، إلى مشاكل صحيّة. فإذا دخل الرصاص جسم الطّفل في السّنتين الأوليّتين من عمره تُسهم سُمّيَتُّه في ضعف وزن الجسم، وفي عدم نموّه العقلي، واضطراب جهازه العصبي، وخاصّة حاسَّة اللَّمس. (طويل

نبيل صبحي، 1999) ثمّ نجد في المرتبة الثّانية الشّريحة العمريّة الكبرى أي الشّيوخ. ويجمع المستجوبون، على أنّ الفئات الضّعيفة والهشّة، هم الأكثر عرضة لخطر التلوّث. وحسب استمارة الاستبيان، فهم من الأطفال والشّيوخ. حيث أنّ 305 مبحوثا من ضمن أفراد العيّنة، ومن مجموع 560 مستجوبا، يعتبرون أنّ الأطفال والشّيوخ، هم الأكثر عرضة للأمراض. فيما يعتقد 241 من المستجوبين أن كلّ الفئات معرّضة للمخاطر البيئية، الّتي تُؤدّي إلى تدهور في المجال الصحّي. بينما تنخفض النّسبة، تجاه فئة الشّباب والكهول. وحسب جمهور المستجوبين، فإنّ أكثر من نصف العيّنة، أي ما نسبته 54.46%، يرون أنّ الأطفال الصّغار والمسنّين يتعرّضون أكثر من غيرهم لتأثير التلوّث على الصحّة، ومدى خطورته على حياة الإنسان. وقد أثبتت الأبحاث،والدّراسات الطبيّة الحديثة، أنّ التلوّث بكافّة صوره وأشكاله يتسبّب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في موت الإنسان. فالتلوّث يصيب الإنسان بعديد من الأمراض المزمنة والخطيرة وبأنواع من السرطانات القاتلة التي تؤدّي بحياته (عوض محمد حسان وشحاتة حسن أحمد، 2018).

4.2.8.من الوعي إلى السّلوك: الرّغبة في تغيير مقرّ الإقامة بعيدا عن المجمع

جدول عدد 15: تغيير مقرّ الإقامة حسب الفئة العمريّة.

تغيير مكان الإقامة	العمر				المجموع
	من 15 إلى 19	من 20 إلى 34	من 35 إلى 59	60 فما فوق	
نعم	36	84	132	27	279
النّسبة %	%30	%52.5	%66	%33.75	%49.82
لا	46	46	45	41	178
لم أفكّر بعد	29	24	10	5	68
دون رأي	9	6	13	7	35
المجموع	120	160	200	80	560

المصدر: العمل الميداني

عند تحليلنا للجدول عدد 15، وإذا ما استثنينا فئة الشيوخ 60 سنة فأكثر– فإنّ نسب الفئات العمريّة ممّن يرغبون في تغيير مقرّ إقامتهم في ازدياد. حيث بلغت نسبة الفئة العمرية 15–19 سنة 30 %، أي 36 مستجوبا من جملة 120، خيّروا تغيير مقرّ الإقامة. تليها الفئة العمرية 20–34 سنة، بنسبة 52.5% والّتي تمثل 84 مستجوبا من جملة 160. ثمّ أعلى نسبة لدى الفئة العمريّة 35–59 سنة، بنسبة 66% أي 132 مستجوبا من جملة 200. وهذه الفئة العمريّة كما ذكرنا سابقا، عايشت حقبتين من الزّمن. الأولى قبل وجود المنطقة الصناعيّة، والفترة تمتدّ بين ستّينات وسبعينات القرن الماضي وهي فترة الرّخاء بالنّسبة لهم. أمّا الفترة الثّانية، تمتدّ من أواخر السّبعينات إلى اليوم، وهي الفترة الّتي تميّزت بوجود القطب الصّناعي الّذي غيّر في عادات وتقاليد المجتمع القابسي، مع تدهور صحّة المواطن من جرّاء الملوّثات. وهذه الشّريحة العمرية، تشهد صراعا داخليّا، بين البقاء في أرض الآباء والأجداد، والرّضا بما هو موجود من تدهور بيئي، وتدنّي مستوى المعيشة. وبين مغادرة مقرّ إقامتهم، وقضاء بقيّة العمر في بيئة سليمة يستطاب فيها العيش. وبذلك يكون لعامل السنّ، دور كبير في التّفكير في تغيير مقرّ الإقامة. ويرجع ذلك، لشعور الفئات العمريّة من 20 إلى 59 سنة، بالإحباط وعدم تصديق الوعود الزائفة والكاذبة من قبل الفاعل السياسي، والفاعل الصناعي، على حدّ السّواء. أمّا تدنّي النّسبة لدى الشريحة العمريّة الأولى 15– 19 سنة، فذلك راجع لعدم الوعي بالأضرار البيئيّة من ناحية، والرغبة في مواصلة تعليمهم من ناحية ثانية. ففي أغلب الأحيان، أنّ من تتراوح أعمارهم بين 15– 19 سنة، مازالوا يزاولون تعليمهم الثّانوي. وتربطهم مصلحة اتمام دراستهم وتعلّقهم بزملائهم في الدّراسة. أمّا الفئة العمرية 60 سنة فأكثر، فيرون أنّه لا فائدة في تغيير مقرّ إقامتهم، نظرا للعلاقة التي تربطهم بأرضهم. فأغلب المستجوبين من هذه الشّريحة العمريّة قد أحيلوا على التقاعد. وقد فضّلوا الاعتناء بما تبقّى لهم من أراض فلاحية يقضون، فيها أوقات فراغهم. والبعض الآخر يرى أنّه لا فائدة في تغيير مقرّ الإقامة بعدما تقدّم بهم العمر وأصبح كثرة التنقّل يثير القلق لديهم، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالجانب الصحّي، حيث أنّ هذه الفئة العمرية – 60 سنة فأكثر– تكون عرضة للأمراض أكثر من غيرها.

جدول عدد 16: تغيير مقرّ الإقامة حسب متغيّر السّكن.

تغيير مكان الإقامة	متغيّر السّكن				المجموع
	شطّ السّلام	بوشمّة	غنّوش	مطماطة ج	
نعم	91	102	63	23	279
النّسبة%	%65	%72.86	%45	%16.42	%49.82
لا	35	29	42	72	178
لم أفكّر بعد	5	9	31	23	68
دون رأي	9	0	4	22	35
المجموع	140	140	140	140	560

المصدر: العمل الميداني

نتبيّن من خلال الجدول عدد 16، بأنّ منطقة بوشمّة تحتلّ المرتبة الأولى من حيث المستجوبين الرّاغبين في تغيير مقرّ إقامتهم، بنسبة تصل إلى 72.86%. حيث أبدى 102 مستجوبا من جملة 140، رغبتهم في تغيير مقرّ الإقامة. ويعود ذلك إلى طبيعة المتساكنين في المنطقة المذكورة، حيث أنّ أغلبهم ليسوا من السكّان الأصليين للمنطقة، بل هم وافدين جدد عبر موجات من الهجرة الدّاخلية، كانت بداياتها أواخر خمسينات القرن الماضي، وبداية الاستقلال. حيث توافد على منطقة بوشمّة العديد من متساكني الجريد للقيام بالأعمال الفلاحيّة داخل الواحة. تلتها هجرة ثانية منذ سبعينات القرن الماضي، من خلال توافد أعدادا كبيرة من المهاجرين من المناطق المجاورة، مثل قفصة وسيدي بوزيد، وأهمّها من معتمديتي الحامّة ومنزل الحبيب، والّذين يُمثّلون لوحدهم، أكثر من نصف سكّان الجهة المذكورة. وكان الهدف الرّئيسي من هذه الهجرة، هو العمل بالمنطقة الصناعيّة المحدثة. ف: "ظاهرة الهجرة إلى ولاية قابس، شهدت تحوّلات عميقة من حيث شكلها وكثافتها وغاياتها. لاسيّما بعد إحداث المركّب الصّناعي بقابس، الّذي استقطب مهاجرين اتّسموا بعدم تجانسهم. وطبيعي أن ينتج عن هذا الحراك تفاعل، قد يكون سلبيّا في بعض الحالات، وهو نشوب صراعات ذات بعد قَبَلي. أو ايجابيّا مثل العمل على النّهوض

بمنطقة الجذب وتنميتها". (خليفي كمال، 2012) ومن أهمّ الدّوافع التي حفّزت المهاجرين إلى الوفود لحيّ 02 مارس ببوشمّة، هي محاذاته لأهمّ وأكبر المجمّعات الصناعيّة والاقتصاديّة في الجهة، وتدنّي ثمن قطع الأرض الصّالحة للبناء، مع رخص معاليم الكراء، وضعف الرقّابة التي يسّرت الاستيلاء على الملك العمومي. كما تميّز متساكني الحيّ بسلوكات عشائريّة ممّا شجّع على تنامي عدد الوافدين داخل الحيّ. إنّ ارتفاع نسبة الرّاغبين في الهجرة من منطقة بوشمّة له أسبابه التّاريخية كما ذكرنا سابقا. وهو أنّ ثلثي المتساكنين، هم من الوافدين. لذلك ليس لهم جذور في هذه الأرض، ولا حتّى أراض فلاحيّة أو عقّارات ترغّبهم في الاستقرار، إذا ما استثنينا البعض، ممّن اشترى قطع أرض من أصحابها الأصليين. فيما عدى ذلك فالأغلبيّة لا يملكون سوى المنازل الّتي يقطنوها. ومع بروز تأثير التلوّث البيئي على صحّة الإنسان، مع مراوحة الوضع الاقتصادي مكانه، أي عدم توفّر مواطن شغل تفي بحاجة المتساكنين، جعل العديد من الوافدين، يعودون إلى مسقط رأسهم. وكذلك فإنّ أعدادا كبيرة منهم يُفكّرون في مغادرة منطقة بوشمّة. علما وأنّ قرية بوشمّة تشهد اليوم هجرة عكسيّة من جرّاء التلوّث البيئي، مع وعي المواطن بالمخاطر البيئية. فبعد ما وصل عدد المتساكنين إلى 13700 ساكنا حسب تعداد 2004، تراجع إلى 12163 ساكنا حسب تعداد 2014. ثمّ تأتي بعدها وفي المرتبة الثّانية منطقة شطّ السلّام بنسبة 65% من المستجوبين الرّاغبين في تغيير مقرّ إقامتهم. أي 91 مستجوبا من جملة 140، ويعود ذلك لارتفاع درجة التلوّث في هذه المنطقة، الّتي تُعدّ من المناطق المنكوبة في الجهة. حيث تُحيط بها المنطقة الصناعيّة مع وجود محطّة للتّطهير قريبة من المتساكنين. أمّا الأسباب العائدة إلى تدنّي النّسبة في كلّ من معتمديتي غنّوش ومطماطة الجديدة، فله مبرّراته. حيث راهن المواطن الغنّوشي على فلاحته، رغم الظّروف القاسية الّتي تأقلم معها. فحتّى المنتجات الفلاحيّة كيّفها مع الوضع البيئي. فاهتمّ الفلاّح الغنّوشي بزراعة كلّ من البصل والثّوم وبمساحات شاسعة، وذلك لعدم تأثّر هذين النّوعين من الخضروات، بالملوّثات ولا بالبكتيريا الموجودة في الأرض. فهذان النّوعان في الأصل يقضيان على الجراثيم، ولا تُؤثّر فيهما سموم المنطقة الصناعيّة. ونظرا لهذا التشبّث بالأرض، فإنّ نسبة المستجوبين الّذين فكّروا في

تغيير مقرّ الإقامة، بلغت 45% أي 63 مستجوبا من جملة 140. وهي أقلّ من نصف العيّنة المستجوبة. وأخيرا تأتي معتمدية مطماطة الجديدة في المرتبة الأخيرة، وبنسبة 16.42%. أي 23 مستجوبا من جملة 140 ممن فكّروا في مغادرة مقرّ الإقامة، والسّبب الرّئيسي لانخفاض هذه النسبة يعود لعامل البعد على المنطقة الصناعيّة وعلى بؤر التلوّث البيئي. وكذلك من خلال المتغيّرات الّتي وقع تحليلها من خلال الجدول والّتي تلعب دورا أساسيّا في توجيه مواقف السكّان المحلّيين المتمثّلة في درجة الانتماء للمنطقة التي يقطنونها، كما هو الحال في منطقة بوشمّة الّتي تتميّز بالكمّ الهائل من الوافدين الجدد للمنطقة. في حين نرى في الجانب الثّاني وبالأخصّ منطقة غنّوش، مدى تشبث الأهالي بأراضيهم نظرا للطابع الاقتصادي المميّز لهذه المنطقة، حيث يعتمد المحلّيون على ما تجود به عليهم الأرض من منتجات فلاحيّة، مع اشتغال جلّ النّشطين في الأعمال الحرّة، من تجارة ومقاولات... يجعلهم يتبنّون سلوكيّات مغايرة ممّا هو عليه الوضع في كلّ من بوشمّة وشطّ السّلام.

09- أهمّ الاستنتاجات

- تُمثّل المناطق المحيطة بالمجمع الكيميائي، مستغلّات فلاحيّة صغيرة، ذات نسق عائلي. إذ أنّ 95.91% من مجموع الّذين لهم أراضي فلاحية -وهم 391- يستغلّونها بمفردهم أو في أطر عائليّة.

- إنّ الأضرار التي لحقت بالمنتوج الفلاحي من جرّاء التلوّث الصّناعي ظاهرة للعيان، من خلال الغازات المنبعثة من مداخن المعامل والّتي تُساهم بشكل كبير في اتلاف المحاصيل الزراعيّة. خاصّة وأنّ جزء من المنتجات الفلاحيّة تتمثّل في الخضر والغلال والزّراعات العلفيّة والصناعيّة. وهي تتأثّر كثيرا بالتلوّث وخاصّة بالنّسبة للمناطق المحاذية للمركّب الصّناعي شطّ السّلام بوشمّة وغنّوش. فقد أقرّ جلّ المستجوبين، بتردّى المنتوج الفلاحي في جهة قابس بسبب التلوّث الهوائي. مع نضوب المائدة المائيّة من جرّاء الاستغلال المفرط للمياه المخصّصة للمصانع والمعامل والمتواجدة بالمنطقة الصناعيّة.

– إنّ المنتوج الفلاحي لا يفي بالحاجة، ويفتقر للجودة. وهذا ما أقرّه المستجوبون وبنسبة تقدّر ب: 90.54%. كما يرى 353 مستجوبا من جملة 391 ممّن يمتلكون أراض صالحة للزراعة بأنّ هنالك أضرارا واضحة للعيان للمنتجات الفلاحيّة، وهي تعود بالأساس، إلى التلوّث الهوائي المنبعث من مداخن المصانع بجهة قابس.

– يقرّ أغلبيّة المستجوبين، بأنّ سبب ندرة وشُحّ المياه، راجع بالأساس إلى الاستهلاك المفرط والمجحف من قبل الفاعل الصّناعي. حيث صرّح 202 من المستجوبين من جملة 391 ممّن يمتلكون قطع أرض فلاحيّة، بأنّ المنطقة الصناعيّة تُمثّل سببا رئيسيّا في قلّة مياه الريّ المستعملة في الفلاحة.

– نُلاحظ من خلال مُؤشّرات بعض الجداول، وجود علاقة ارتباط وثيقة، بين الوضع الصحّي بجهة قابس ومكان إقامة المستجوبين. فكلّما اقتربنا من المنطقة الصناعيّة، كلّما عبّر الأفراد عن شعورهم بالخطر وفقدان الأمن البيئي.

– يُجمع أغلب سكّان بوشمّة وشطّ السّلام من أفراد العيّنة، أنّ الخدمات الصحّية متردّية بالجهة وأنّ الفئة الأكثر تعرّضا للأمراض النّاتجة عن التلوّث، هم الشّريحة العمريّة الصّغرى، أي الأطفال خاصّة، حيث أنّ أكثر من نصف أفراد العيّنة بما نسبته 54.46%، يرون أنّ الأطفال الصّغار والمسنّين، يتعرّضون أكثر من غيرهم لتأثير التلوّث على الصحّة ومدى خطورته على حياة الإنسان.

– إنّ 85.83% من أفراد العيّنة المنتمين إلى منطقة الطّوق: شطّ السّلام بوشمّة وغنّوش يشتكون من أمراض نتيجة لتدهور الوضع البيئي في الجهة. فإلى جانب الأضرار على المستوى الإيكولوجي فإنّ المواطن القابسي أصبح مهدّدا في صحّته ويشكو مختلف الأمراض النّاتجة عن التلوّث، وأهمّها المشاكل في الجهاز التّنفسي ومختلف أنواع الحساسيّات والسّرطانات. فقد رصدنا من خلال العيّنة المبحوثة، أنّ نسبة 40% من المستجوبين مصابين بأمراض مرتبطة حسب اعتقادهم بالتلوّث البيئي النّاتج عن دخان المصانع، أي 224 من جملة 560 من أفراد العيّنة يشتكون أمراضا سببها التلوث.

10- خاتمة

إنّ السياسات التنموية الممنهجة من قبل الحكومات الوطنية منذ الاستقلال، لم تراع خصوصيات الجهة وخاصة الايكولوجية منها. فبالرغم من وجود هذه المصانع الملوثة وما تدره من أرباح ومساهمتها الهامة في عملية التصدير، وجلب العملة الصعبة، فهي في المقابل تساهم في تدهور صحة السكان المحليين من خلال التلوث الهوائي. وفي تردي المنتوج الفلاحي والصيد البحري، دون التفكير في خلق مشاريع، أو تطوير البنية التحتية للجهة، والتي تفتقر إلى اليوم ورغم تفشي الأمراض إلى مستشفى جامعي، والذي طالب به مختلف أطياف المجتمع القابسي. فهو مطمح جماهيري للولاية، وبإحداثه، يمكن أن يحد من تفاقم وانتشار الأمراض التي يسببها التلوث الهوائي بالجهة. فالسياسة التنموية في الجهة تعتمد على أرقام ربح أو خسارة، والإنسان هو آخر اهتماماتها. إن الفاعل الصناعي، يشتغل وفق استراتيجية خاصة، وهي مراكمة الثروة ومراعات مصلحة الدولة في جلب العملة الصعبة. وبالتالي فإنّ المسألة يمكن مناقشتها ومتابعتها وفق إطار الصراع والتصادم. لقد ركزنا على الوعي البيئي لدى المواطن القابسي. حيث قيّمنا الأضرار البيئية على مستوياتها الثلاثة برا وبحرا وجوا. فمن خلال نتائج العمل الميداني، لاحظنا تدهورا واضحا في المنتوج الفلاحي والثروة الزراعية. واندثار عدة أنواع من الأشجار المثمرة. كما تأثرت المائدة المائية من جراء الاستهلاك المفرط للمياه من قبل المصانع. أما على المستوى البحري فقد تصحر البحر نتيجة إلقاء مادة الفوسفوجيبس به، و تلوثت مياهه. وانقرضت عدة حيوانات بحرية كانت تأوي إليه زمن التكاثر. حيث كان خليج قابس محضنة للأسماك. واليوم البحارة يعانون التهميش والفقر. أما في المجال الجوي، فالهواء ملوث، ورائحة "البخارة" تستأثر بالفضاء الجوي والأرضي، مما حدا بنسبة كبيرة من المتساكنين، إلى تغيير مقر الإقامة. فيما فكر الأغلبية المتبقية بأن تهجر المكان، إذا لم يتوصل الفاعل الصناعي والسياسي، إلى إيجاد الحلول الكفيلة بنقل الوحدات الملوثة خارج مناطق العمران. أو التفكير في تعويض الصناعات الكيميائية بأخرى بديلة وصديقة للبيئية. ومن خلال دراسة ظاهرة التلوث وتداعياتها وانعكاساتها، حاولنا أن نفهم كيف يمكن للإنسان أن يتفاعل في بيئة بهذا الكم الهائل من التلوث، وتدهور ايكولوجي وصحي.

وهو ما يسمح لنا بقياس معدلات ودرجات الوعي البيئي، والتي وجدناها بين سكان الطوق والجهات الأكثر بعدا عن بؤرة التلوث بين الجنسين وبين الفئات العمرية.

قائمة المراجع:

1-ابن خلدون عبد الرحمان(2000)، المقدمة، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

2-أرناؤوط محمد السيد (1997)، الإنسان وتلوث البيئة، مصر، الدار المصرية اللبنانية.

3-القرآن الكريم، سورة المائدة الآية .34

4-المنجد في اللّغة والاعلام (1975).

5-بدوي أحمد زكي (1977)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنان، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع.

6-بن أحمد منال (2007)، انعكاسات المنشآت الصناعية على المحيط، تونس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس.

7بن يحي سهام (2005)، الصحافة المكتوبة وتنمية الوعي البيئي في الجزائر، قسنطينة، الجزائر، جامعة منتوري.

8-دخيل محمد عبدالرحمان فهد (2000)، الوعي البئي لدى المتعلمين الكبار في منطقة الرياض، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المحرر، مجلة تعليم الجماهير، (47)، ص.ص 50-.75

9-رشوان حسين عبدالحميد أحمد (2008)، الطبقات الاجتماعية والمجتمع، الإسكندرية، موسسة شباب الجامعة.

10-سعفان حسن شحاتة (1975)، أسس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية.

11-سورة البقرة، الآية .205

12-طائي إياد عاشور (2010)، التربية البيئية، ط.1، طرابلس لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب.

13-طويل نبيل صبحي (1999)، البيئة والتلوث محليا وعالميا، بيروت، دار النفائس.

14-عامر محمد السيد (2010)، المشاركة الشعبية لحماية البيئة من منظور الخدمة الاجتماعية، مصر، المكتب الجامعي الحديث.

15-عبدمولاه رضا (2013)، المواطن والمسألة البيئية، دراسة نفسية اجتماعية حول التمثلات والسلوكيات البيئية، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

16-عوض محمد حسان وشحاتة حسن أحمد (2018)، قضية المناخ وتحديات العولمة البيئية، القاهرة، مصر، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

17-غيث محمد عاطف (2006)، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، دار المعرفة الجامعية.

18-قباري محمد إسماعيل (1980)، علم الاجتماع الصناعي ومشكلات الإدارة والتنمية الاقتصادية، الإسكندرية مصر، منشأة المعارف.

19-كريمي علي (2004)، ظاهرة تشتت الملكية داخل واحات قابس وانعكاساتها الاجتماعية، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

20- Bourdieu Pierre(1964), Le déracinement, La crise de l'agriculture Algérienne, Paris, éd. De minuit.

21-Durkeim Emile (1998), Représentation Individuelles et Représentation Collectives, Paris, Edition Sociologie et Philosophie.

22-Elsen Liliane(1973), La pollution et l'environnement, Paris, collection tout savoir sur, Imp Brodard.

23-Loflamme Marcel (1979), Dix approches pour humantiser et developper les organisations, France, Gacteur morineditions.

24-Morin Edgar(1977), La nature de la nature, Paris, Edition Seuil.

25-Moscovici Serge(1976), La Psychanalyse, Son Image et son Public, Paris, Presse universitaire de France.

26-Robert Paul (1991), Le petit Rpbert, Paris.